

الندوة العلمية الدولية بمناسبة مائوية الأستاذ توفيق بكار (1927 – 2017) توفيق بكار مفرد بصيغة الجمع

تنتج الثقافة الجادة أبنيتها وأنساقها بالمراكمة والتعاقب، وتؤسس حركاتها واتجاهاتها بالتأليف والتجميع حتى إنّ إسهامات الأفراد قد تُذوّب وتُصهر في نسيج التيارات العامة والاتجاهات الكلية. ولكنّ هذا البعد الجمعي لا ينفى دور الأعلام الأفاضل إذا أُوتوا من الحضور والإشعاع ما يرفعهم إلى مرتبة الأحاد الذين يفون في قوّة أثرهم بالزُمر المجتمعة.

ولا خلاف في أنّ الأستاذ توفيق بكار (1927 – 2017) كان جامعياً لامعاً ومتقفاً أصيلاً وناقداً حصيفاً ومترجماً بارعاً، فهو مفرد بصيغة الجمع، واكب حياة الجامعة التونسية، ثلاثة عقود كاملة، وعاش الثقافة الوطنية لما يزيد عن النصف قرن، وخلف من بالغ الأثر ما يقيم الدليل على أنّه كان من كبار الأعلام الفاعلين في الحركة العلمية والحياة الثقافية معاً.

• توفيق بكار جامعياً:

انتسب إلى الجامعة التونسية الفتية مدرّساً بُعيد عودته من فرنسا حاصلاً على التّبريز من الصّوربون (1960)، فأسهم إسهاماً بعيداً في تجديد الدّرس الأدبيّ بها، وافتراع مسالك طارفة في تذوّق نصوص الأدب وتحليلها وفهمها. فالإله يعود الفضل في إدخال المناهج النّقديّة الحديثة والمقاربات الجديدة - ولم يتمّ له ذلك دون تجشّم عناء إقناع الأصوات الدّاعية إلى التّدريج والتّمهّل أو النّازعة إلى التّحفّظ والتّحرّز - فوصل الجامعة التونسية بما كان يجري في ساحات التّجديد الأدبيّ والنّقدي في أوروبا والعالم المتقدّم.

وفتح بذلك في درس الأدب آفاقاً رحبة تخطى بها الطرائق الكلاسيكية في تناوله وبحثه، وبصر الطلبة بمذاهب في التعامل مع الآثار الأدبية لم يكن لهم بها عهد من قبله، ونبّههم على مسالك ومداخل لم يعتادوها إلى ذلك الحين، وأكسبهم من مواد التحليل وأجهزته وغدّده ما انعكس على تكوينهم جِدّة ومتانة، وعلى كفاياتهم سعة وعلوّاً.

وساهم مع الأستاذين محمّد الهادي الطرابلسي وحمّادي صمود في منح الجامعة التونسية، وقسم اللغة العربية وأدبها على وجه الخصوص، قصب السبق في مجال تدريس المناهج النقدية الحديثة والأخذ بها وإجرائها في البحوث الجامعية، فصارت كلية الآداب بتونس قبلة لكل من رام إتقان تلك المناهج وحذقها، ومقصداً لكل من طلب دراسة الأدب دراسة مُجدّدة، يُيَمِّم الباحثون وجوههم شطرها من مختلف الجامعات العربية مغرباً ومشرقاً.

وأشرف في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي على بحوث ما تزال تُعدّ إلى الآن رائدة في اقتحام مسائل جديدة بالنسبة إلى البحث العلمي الجامعي في البلاد العربية كلّها، وسبّاقة إلى الاجتراء على مشكلات بكر في دراسة نصوص الأدب العربيّ قديمه وحديثه.

أسّس الأستاذ توفيق بكار ما يسمّى بـ "المحاضرة / التحليل"، وهو ضرب من المحاضرات ينصرف فيه إلى تحليل نصّ نثريّ أو قصيدة شعريّة على النحو الذي عُرف به وبرع فيه براعة فائقة، بل إنّ له من المحاضرات ما دار على تحليل بيت مفرد؛ دلالة على أنّه أخذ في فنون التفكير والتحليل والاستقراء والتأويل والتّخريج بالنّاصية وملك منها الرّقاب ولوى بالعنان.

وهو في ذلك يهتمّ بالأدب العربيّ نظماً ونثراً، شعراً وقصصاً، في مختلف عصوره وأطواره، يمتلك الأدوات الكفيلة بالغوص، في كلّ نصّ، على أسرار الصّناعة ومكامن الإبداع، والفحص عن مواطن الجمال والفتنة ومآتي الاتّساق والانسجام.

وله عناية مخصصة بالأدب التونسي الحديث والمعاصر تدريسياً وتحليلاً، وجمعاً وتعريفاً؛ حيث أدرج عيوناً منه في دروسه، وحلّل نماذج منه في "مقدماته" ومقالاته، ونشر من فرائده وأعلاقه النفيسة في سلسلة "عيون المعاصرة" ما خلّدها به وطّير ذكرها في الآفاق.

• توفيق بكار مثقفاً

أسّس توفيق بكار مع ثلاثة من زملائه المبرزين العائدين حديثاً من فرنسا مجلة "التجديد" (1961)، دليلاً على إيمانه الراسخ بضرورة تجديد أبنية العقل وأنساق التفكير في بلد يخرج لتوّه من هيمنة المستعمر، ويطمح إلى بناء مجتمع آخذ بأسباب التقدّم، فكانت مجلة ثقافية فكرية تقدمية مستقلة ومنبراً حراً لتعميق الطّرح الفكري والأدبي والفني.

وأدار سلسلة "عيون المعاصرة" صلب دار الجنوب للنشر منذ تأسيس الدّار سنة 1979، فأتاح لها بذوقه الأدبي الرفيع وسعة معرفته بالأدب العربيّ الحديث والمعاصر أن تنشر مجموعة من خيرة الروايات العربيّة لألمع كتّاب الرواية، من أمثال: محمود المسعدي والطّيب صالح وحنّا مينه وعبد الرّحمان منيف والبشير خريّف وحسن نصر وفرج الحوار وصالح الدّين بوجاه وحسين الواد وغيرهم.

ووضع مقدّمات باتت معالم خالدة وصروحاً عديدة في بابها، أضافت إلى تلك النّصوص الروائية من الألق وذبوع الصّيت ما صارت به ملتبسة بها لا تنفكّ عنها، كالجزم الذي لا يتجزأ منها.

وأسّس صلب المركز الثقافيّ لمدينة تونس لقاءات دورية للتّعريف بأعلام الأدب التونسيّ المعاصر وآثارهم تعريفاً علمياً منهجياً متيناً، في جلسات كان يديرها بنفسه ويدعو إليها خيرة أساتذة الجامعة، يتناولون بالقراءة المتأنّية والتحليل العميق مجموعات شعريّة ونصوصاً روائية وقصصيّة ومسرحيّة لنخبة من أدباء تونس بحضور أصحابها. فكانت تلك اللّقاءات خير منتدى لمدارس الأدب التونسيّ المعاصر وتطرح الأفكار بشأنه، ومنطلق حركة نقدية مستنيرة حول الإنتاج الأدبيّ بتونس.

واكب الأستاذ توفيق بكار حركة الإبداع الثقافيّ والفنيّ بجميع ألوانه وتيّاراته، فكتب مقالات نقدية في الفنّ التشكيلي وفي التّصوير الشّمسيّ وفي سائر الفنون. وشرع في جمع أعمال على الدواعي الكاملة، ووفّق إلى نشر جزأين منها، وكان من أمنيّاته الغوالي أن يفرغ من العمل بكليّته قبل وفاته، ولكنّ المنيّة لم تمهله لاستكمال جميع أجزائها.

• توفيق بكار مترجماً

آمن بكار بالأدب التونسيّ وتحمّس له، ولم يدّخر جهداً في التّعريف به ورفعته إلى المنازل التي تليق به. فضلاً عن تدريسه الأدب التونسيّ في الجامعة، وتشجيع الأدباء التونسيّين في دار الجنوب

للنشر، وفي لقاءات المركز الثقافي لمدينة تونس وغيرها من منابر الثقافة والأدب، بادر إلى ترجمة مختارات من الأدب التونسيّ صحبة زميله صالح القرمادي، نشرت في طبعة أولى بباريس سنة 2001 ثم بتونس سنة 2017.

وترجم بالإضافة إلى ذلك كتاب "مولد النسيان" لمحمود المسعدي، الذي نشرته مؤسسة بيت الحكمة سنة 1993.

• توفيق بكار ناقدًا

لتوفيق بكار مذهب في النقد فريد يختصّ به ويبرز فيه، هو النقد الإبداعيّ، فهو ينشئ حول النصّ الأدبيّ نصًّا لا يقلّ إبداعيةً، فكأنّ النصّ الأصليّ نواة تنمو وتمتدّ وتنسبط وتتسع وتنشعب فتتعدّد دوائرها، وتتشكّل على نحو ما تقتضيه طرائق القراءة وتصاريح التحليل أشكالًا تنكشف بها أسرار في النصّ خافية، وتُسفر مكنونات محتجبة، وتتجلي أبنية، وتتبدّى أنساق.

أمّا لغة بكار في نقده الإبداعيّ فتجمع بين أناقة العبارة وطلاوة الأسلوب ولطف الإشارة وجمال الإيحاء وبراعة التّضمين، مع عمق التحليل وطرافة الفكرة، والنفاذ إلى عجيب ما في النصّ من اتّفاقات ومناسبات.

فهو فارس النصّ بلا منازع، يبرع في ترويضه وتذليله حتى يُسلس القياد، ويلين ويطاوع، فيظفر منه بالبغيّة، ويبلغ منه المراد.

وله في المنهج فلسفة ألمع إليها في فاتحة "شعريّات عربيّة". فالنصّ يظلّ عنده غُفلاً حتى يُعمل فيه القارئ المنهج الملائم فيصير مفصّحاً معرباً، حيّاً ناطقاً، معجباً مطرباً، أسراً فتّاناً. ولكنّ النصّ في مذهبه لا يُكرّه على منهج يأباه ويجفوه، ولا يُسلّط عليه المنهج قسراً وعسفاً، بل يُتخيّر للنصّ منهج مشتقّ من صميمه وجوهره، إذ النصّ يربو على كلّ منهج ويتمنّع، لا يرضى غير قراءة من وحيه تلائم روحه.

* * *

والمحصّل أنّ مسيرة الأستاذ توفيق بكار اقترنت بجملة من القيم الكبرى والمعاني الأساسيّة : بالتّجديد والتّطوير واقتراع السّبل البكر، وبالتّأسيس والابتداء وإرساء متين التّقاليد العلميّة وحميد السنن الثقافيّة، وبتجسيم معنى الحداثة تجسيماً مميّزاً، لأنّ الحداثة عنده تقترن بفهم الذات واستقراء التّاريخ واستثمار عظمة الماضي لاستنباط أقوم المسالك إلى مواكبة العصر والحضور الفاعل فيه. وفي ضوء ما تقدّم، فإنّنا نقترح على الباحثين الرّاغبين في الإسهام البحثيّ في هذه النّدوة أن تتّصل أعمالهم بواحد من المحاور التالية:

1- آثار الأستاذ توفيق بكار المنشورة:

- مقدّمات - قصصيّات - شعريّات عربيّة (ج 1 و ج 2) - الأعمال الكاملة لعلّيّ الدوعاجي -
La genèse de l'oubli - Écrivains de Tunisie (ترجمة مولد النّسيان للمسعدي)
- 2- سيرة الأستاذ توفيق بكار وشواغله العلميّة والفكريّة والمنهجية.
- 3- الأبعاد الّتي جسّمها الأستاذ توفيق بكار جامعياً ومثّقاً وناقداً ومترجماً.
- 4- الاختصاص العلميّ الّذي غلب على نشاطه بحثاً وتديّسا وتأطيرا وتأليفاً، وهو الدّراسات السّردية.

ترسل الملخصّات والمقالات عبر البريد الإلكترونيّ على العنوان التّالي:

habibdridi780@yahoo.fr

تواريخ هامّة:

-آخر أجل لإرسال الملخصّات : 30 نوفمبر 2026

-الرّد على الملخصّات المقبولة: 13 ديسمبر 2026

-آخر أجل لاستقبال المقالات: 16 مارس 2027

-تاريخ انعقاد النّدوة: 16 و 17 أفريل 2027

• منسق الندوة: د. الحبيب الدّريدي